التناص الأسطوري في الشعر الامازيغي

– ئزلي نموذجا –

لحسن أسعيد
طالب باحث بسلك الدكتوراه
جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس
كلية الأدب والعلوم الإنسانية فاس –سايس
المغرب

التناص هو ظاهرة نقدية ظهر مع الباحثة البلغاريا جوليا كريستيفا خلال ستينيات القرن الماضي، والتي وسعت مفهوم الحوارية عند باختين. والتناص أو مجموعة من المصطلحات التي تقابله في اللغة العربية حسب ترجمة كل ناقد لمصطلح الفرنسي l'intertextualité (تداخل النصوص– تفاعل النصوص هجرة النصوص البنصية....). ففي الأدب الأمازيغ يعد فيه التناص من بين الظواهر التي نجدها بكثرة وخصوصا في الشعر الامازيغي.

–إذن ماهي تجليات التناص الأسطوري في الشعر الامازيغي؟

–كيف تتفاعل الأساطير مع ئزلان ؟

مفهوم ئزلي

ⵉⵣⵍⵉ [izli] n. ⵉⵣⵍⵉ- ⵉⵣⵍⵓⵍ—

| | 1 pièce en vers, poésie, chant شعر، غناء

| | 2 Ver d'un poème بيت شعري[1]

ئزلي:ⵉⵣⵍⵉ جمعه ئزلان : ⵉⵣⵍⵓⵍفهو غالبا ما يتكون من مقطعين ويرتبط دائما مقطع يكون مستقلا عنه لا من حيث المعنى والدلالة يسمى ب" لغا" :ⵍⵖⴰ و ئزلان izlanالأشعار التي تلقى أثناء رقصات "احيدوس "Aḥidusبمختلف إيقاعاتها و أوزنها المتسمة بغلبة الاستعارة والمجاز، وأشكال الطباق و الجناس مما يدل على غنى الشعر الامازيغي الذي احتفظ بأصالته التي تعود إلى العصور تقدر بآلاف السنين.[2] فإزلي هو دائما مرتبط بعدة خصائص منها الوزن الإيقاع ، لا يتجاوز مقطعين فالمقطع الأول مكمل للمقطع الثاني فبدون هذا الأخير قد يفقد معنا.ثم "لغا" الذي يعتبرا لقالب الأساس سواء من الناحية الإيقاعية أو ذالك الارتباط التاريخي والرمزي بالرغم ان" لغا " و" ئزلي" مختلفين من حيث المعنى فهما بمثابة وجهان مختلفين لعملة واحدة. وهو أيضا مرتبط بالغناء والرقص، سواء كان جماعيا أو فرديا. وهو أيضا بمثابة خلاصة لقصة أو حدث في جملة أو جملتين. وئزلي (ويجمع على ئزلان) يعني في الأطلس المتوسط كما لاحظ ذلك عبد الله بونفور معنيين: إما البيت او الشطر الشعري او مجموع الأبيات ولأشطر hémistiches، بينما يفيد معنى وحدة مقطعية strphique unité في قصيدة اهليل بكوارة (الجزائر)، أما في الريف فإزلان، وتنطق ئزران، فتعني الأشعار بينما مفردها ئزري يطلق على البيت الشعري، أما عبارة ئي ئزري، والفعل زلي فيعني غنى، والمعنى ذاته لدى التوارك حيث يعني الغناء أو الأغنية والأنشودة، ويعني في إمتوكا بنواحي ئمي ن تانوت الأعراس ولى القبائل

بالجزائر يعني أشعار وأغاني الحب حسب تاسعديت ياسين، بينما يدل في مزاب على المقاطع الشعرية المغناة، وبوركلا على قصيدة هجاء épigramme [3].

تناص الأسطوري في ئزلي.

إدا أردنا أن نتحدث ، عن تناص الأسطورة في ئزلي. قد تساءلنا كيف هذا التوظيف والتفاعل الذي يقع بين ئزلي والأسطورة؟ بحيث أن نص ئزلي قصير كيف آن يتم توظيف بداخله نص اكبر منه حجما؟.

الأسطورة ما هي إلا حكاية قديمة و الفرق بين الحكاية الأسطورية والحكايات الأخرى يتجلى من حيث البنية والأبطال. فالحكاية الأسطورية أبطالها آلهة ونصف أله والخوارق، وموضوعها التفسير والتعليل كنشوء الآلهة والإنسان الحيوانات... والأماكن وتعليل وتفسير بعض الظواهر الكونية والجوية. فهناك من يخلط بين الأسطورة والحكاية. هذا ما نجده لدى الأخوين (غريم/Grimm) اللذين لا يريان أي فرق بين النوعين، أو لذا (فلاديمير بروبVladimir Propp) الذي يفضل استعمال عبارة (حكاية أسطورية) (conte) mythique عوض عن عبارة (حكاية عجائبية) (conte merveilleux) ، إلا آن النمطين مختلفان بشكل كبير في الواقع. فبينما الحكاية تقتصر على سرد قصة يبدأ بأمر سيء لتتحسن الأوضاع وتنتهي دائما بما هو أحسن وأفضل. فان غاية الأسطورة هي(قول شيء)باستعمال نظام الرموز. أنها قصص الآلهة والأبطال والحيوانات والأسلاف التي تفسر من خلالها بعض الظواهر (اصل الكانسان او العالم مثلا) او المحرمات (كارتكاب المحارم).[4]

فالأسطورة تفاعلت مع جميع النصوص الأدبية، إذ لها عمق ودلالة في الأدب الشفوي الامازيغي. باعتبارها احد الروافد للذاكرة الجماعية للشعوب الأمازيغية في شمال إفريقيا. فتوظيفها داخل الأجناس الشعرية، وخصوصا ئزلي أمر طبيعي كما سنراه في بعض ئزلان. نادرا ما نجد توظيف الأسطورة في الشعر الامازيغي، بخلاف الأجناس الأدبية الأخرى كاللغز والمثل وأيضا الحكاية,. وفي موجهة بين الشعراء بينه في الأعراس بالأطلس المتوسط. حيث تناول شعراء ايت داود وموسى. الشيخ عبد الله اغيلاس و الشيخ ميمون قجي، في موجه مع الشيخ جمال من ايت يوسي في ئزلي بتوظيفه لأسطورة تامغارت. إذ آن هذه الأسطورة تعتبر من بين الأساطير ذات الوجود والتأثير الى يومنا هذا. حيث أنها مرتبطة بالزمن والحساب عند الأمازيغ وكذلك بالطقس والحالة الجوية. إذ يعتبر فصل الشتاء عند الأمازيغ، وخاصة في المناطق الجبلية التي تعرف تساقطات ثلجية مهمة، هي الفترات التي يمكن آن يتخذ فيها الحطة والحذر. وقد تناول الشعراء في هذه المواجهة الشعرية بينهم والحديث عن كل ما يجري في هذا الفصل وما كانت تتحدث عنه هذه الأسطورة الأمازيغية القديمة.وكذلك عن سر شهر فبراير الذي اقترض يوم لشهر يناير وأصبح ب 28 يوما.

كما تناول شعراء ايت داود وموسى. الشيخ عبد الله اغيلاس و الشيخ ميمون قجي، في موجه مع الشيخ جمال من ايت يوسي في ئزلي بتوظيفه لأسطورة تامغارت.

«ⵜⵉⵛⵛⴰⵏ ⴰⵏⵎⵓⵖⵏⴰⵢ ⴷ ⵍⵜⵍⴰⵏ ⵣⵉⵉⵜ» الشاعران عبد الله اغيلاس و ميمون قجي [5]:

- ⵜⵏⴰⵢ ⵜⵉⵏⵔⵢ ⵛⵅ ⴰⵢⵜⴰⵅ ⵜ ⵀⴰⵍⵍⵓⵍⴰⵢ ⵉⵏ ⵛⵜⵏ ⵜⵅⴰⵢⵢⵏ .

-ⵍⴰⵅ ⴰⴷ ⵜⵢⵢⴰⵅⴰⴷ ⵛⵀⵢⴰⵔⵅ ⵅ ⵔⴰⵏⴰⵣ ⵏ ⵜⵅⵣⵣⵜ ⵍⴰ ⵛ ⵜⵣⴰⵔⵔⴰⵏ.

تعريب : -اخبر يناير ان يسد دين من اقترض منه.

-لماذا تبكي فبراير؟ماذا استفدت في قتل عجل العجوز؟

تعريب ئزلان	ئزلان
لغا[6]: **لم يبق أمان ولم يبق في الحياة من تستأمن يا أخي.**	**ⵉⵏⵢⴰ :** **ⵓⵔ ⵜⵍⵣⵜ ⵏⴰⵎⵜⵉ ⵓⵔ ⵜⵍⵣⵜ ⵜⵜⵓⵙⵜⵓⵔⵜ** **ⵎⴰⵏⵣ ⵉ ⵜⵜⴰⵎⵙⴰ ⴰⵅⵎⴰ**
الشاعر: جمال الرمل : 1-سأقول باسم الله، مثل الشهر وسط الشهر. -أيها الرحال دخل يناير قاتل الأبقار. **الشاعرين "عبد الله اغيلاس" و" قجي ميمون":** 2-الشتاء كالصيف، لم ختلف الأشهر كما الأيام من قبل. -لم يبقى الثلج، فعاشت الأبقار للناس. **الشاعر جمال الرمل:** 3-العطاء الذي وهبه الله ، فرغم الخسائر، إلا انه يعود بالنفع, هناك من ينعم عليه بالإنتاج. والبعض غرق بالفيضانات.. **الشاعرين عبد الله اغيلاس و قجي ميمون:** 4- اخبر يناير ان يسدد دين من اقترض منه. -لماذا تبكي فبراير؟ماذا استفدت بقتل عجل العجوز؟	**ⵛⵄⵅ ⵉⵓⵎⵓⵏ ⵇⵎⵏ** : 1 ⵓⵅⵅ ⵓⵏⵄⵏⵄ ⵖⵄⵙⵎⵏⵓⵙ ⵏⵎⵓⵜⵏ ⵅⵓⴷ ⵓⵅⵙⵓ- ⵓⵎⵎⵓⵙ ⵏ ⵍⵓⵅⵙⵓⵏ. ⵓ ⵓⵅⵄⵓⴳⴳⵓⵏⵏ ⵄⵛⵏⵎ ⵍⵓⴳⴷ ⵅⵄⵍⵒⵒ ⵎⵓⵏ - ⵄⵏⵢⴰ ⵏⵓⵅⵓ ⵜⵄⵀⵙⵏⵓⵙⵄⵏ **ⵛⵛⵄⵅ ⵓⵙⴷⵏⵏⵙ ⴷ ⵛⵛⵄⵅ ⵎⵄⵎⵄⵏ** ⴷⵓ ⵓⵎ ⵙⵙⵙⵎⵄⵎⵏ ⵍⵓⵎⵓⵅⵅⵓ ⴷⵓ 2- ⵎⵓⵅⵓⵒⵓⵏ ⵏⵎⵏⵓⵅⵄⵏ ⵓⵎ ⵣⵙⵅⵅⵓⵙ. ⵓⵣ ⵙⵓ ⵄⵣⵣⵄⵎⵄ ⵙⴷⵀⵏ ⵙⵜⵙⵙⵓ ⵜⵓⴷ ⵓⴷ - ⵄⵏⵢ ⵄⵎⵄⵍⵏ ⵜⵄⵀⵙⵏⵓⵙⵄⵏ.	

أ-قسم التناص .

إن التناص الذي تم توظيفه في هذا ئزلي، هو تناص مباشر. بتوظيف أسطورة تمغارت، ذات الصفة المناخية، فتقدمها لنا النصوص الأسطورية التي رأينا آن العجوز تعرضت لطقس رديء بارد حتى الموت، يضاف إلى هذه الاعتبارات عن الطقس وأحوال الجو اعتبارات أخرى عن الوقت، حيث ترتبط عجوز يناير، والعجوز القناع في الكرنفالات الأمازيغية التقليدية التي كانت ولا تزال في بعض المناطق تتم في عاشوراء أو يناير عبر شمال إفريقيا[7] . كما تم الحديث عن شهر يناير الذي اقترض يوم من فبراير ليقتل عجل العجوز. حيث الشعراء أشار إليه بان شهر يناير قد دخل موجها نداء للرحل لأخذ الحيطة والحذر. كما تحدثوا هذا اقتراض الأيام بين الأشهر، والذي انتهى بالغدر من طرف شهر ينير ل شهر فبراير الذي لم ينهل بالبكاء مند الأزل حتى الحاضر الذي نعيش فيه . وارتباطا بهذا آن هذه الأم العجوز الميثية التي ربطت لاكوست دوجاردان طابعها الإزدواجي بصور الإلهامات والأمهات في الحوض المتوسطي هي ذات الصلة بالعجوز المعروفة في الأسطورة التعليلية للأيام المستعارة، والتي تفسر لم لا يدوم شهر فبراير سوى 28 يوما، وتنتشر على صعيد الحوض المتوسطي ، يتعلق الأمر بأسطورة العجوز التي تروي بطرق مختلفة، لكن متقاربة في كل شمال إفريقيا، لأنها ترتكز كلها على نفس السند الثقافي، واغلب رواتها تشرح كيف آن هذا الشهر الضحية لم يستطع استرداد أيامه التي أعارها ، ومند ئذ أصبح قصيرا وكثير البكاء (أي مطير).[8] وحتى الحالة الجوية لهذا الشهر تتميز بكثرة الأمطار والتي تعبر عن هذا البكاء.

ب-نوع التناص.

يعد ئزلي من بين الأجناس الشعرية الأمازيغية، المتنوعة والمختلفة حسب المناطق الجغرافية والتفرعات اللسانية اللغة الأمازيغية في كل مناطق تواجد الشعب الامازيغي. وئزلي لم يقتصر على الأداء الفردي، أو الأداء الجماعي في إطار الغناء، بل يدخل في عدة صيرورات بما فيها الجانب الثقافي لمناقشة العديد من المواضيع. فاللقاء بين الشعراء وخاصة في المناسبات الاحتفالية (العرس ، ختان الاحتفالات الطقوسية...). تكون مبارزة ومواجه بين الشعراء بالشعر الامازيغي. كما يتم مناقشة موضوع معين، لا يمكن الخروج عنه وفي حالة الخروج عن الموضوع يعطي إشارة الهزيمة.

في هذه الحالة استحضرنا مناقشة بين شعراء من قبيلة ايت داوود وموسى — عبد الله اغيلاس- ميمون قجي- في مواجهة الشاعر -جمال -من قبيلة ايت يوسي. كما وضعنا المقطع في الجدول أعلاه. فكان موضوع النقاش هو توظيف - أسطورة تامغارت- هذه الأسطورة التي تدخل ضمن أساطير تعليل الظواهر الجوية. فهده الأسطورة كما هو متداول في الأطلس المتوسط آن عندا خرج شهر يناير العجوز سرحت العجل وقالت له تحرك آن يناير قد خرج. فشهر يناير لما سمع بهذا غضب واقترض يوم من فبراير وتساقط الثلوج بكثافة وقتلت عجل العجوز. حتى الشعراء وطفوا هذه الأسطورة في هذا الحوار والمبارزة الشعرية ، حيث استهل الشاعر جمال بقوله:

1.ⵔⵓⵎⵉ ⵓⵔⵉⵔ ⵜⵔⵓⴷⵎⵏⵓⵜ ⵏⵜⵓⵏ ⵔⵓⵙ ⵓⵔⵙⵓ ⵓⵜⵜⵓⵜ ⵏ ⵍⵓⵔⵙⵓⵏ-

ⵔ ⵓ ⵓⵔⵔⵓⵔⵔⵓⵎⵏ ⵔⵛⵉⵜ ⵍⵓⵔⵔⵙ ⵔⵔⵍⵉⵜ ⵜⵓⵔ ⵔⵉⵍⵢⵓ ⵏⵓⵔⵓ ⵜⵔⵣⵙⵉⵓⵓⵔⵉ -

1-سأقول باسم الله، مثل الشهر وسط الشهر.

-أيها الرحال دخل يناير الذي قاتل الأبقار.

هنا الشاعر أشار بن يناير من بين الشهور شديدة البرودة والتساقطات المطرية والثلجية. وذكر بان هذا الشهر هو الذي قتل فيه عجل العجوز.فكان رد من طرف كل من عبد الله اغيلاس وقجي ميمون بقولهم:في المقطع الرابع تمت الإشارة من طرف الشاعرين بقولهم :

ⴰⴰ ⴰⵛ ⵙⵔⵔⵛⵜⴻⵛ ⴰⵛ ⵏⵠⵛⴰ ⵙⵔ ⴰⴰ ⵜ ⵛⴰⵠⴻⴰⵏ ⵏⵛⵏⴰⵠⵜⵏ ⴰⵛ ⵣⵙⵜⴰⵔ.

ⴰⵣ ⵙⵔ ⵜⵣⵣⵜⵛⵜ ⵙⴰⵠⵏ ⵙⵃⵔⵔⴰ ⵃⴰⴰ ⴰⴰ ⵜⵏⵡ ⵜⵛⵜⴰⵏ ⵜⵜⵠⵙⵏⴰⵔⵜⵏ. -

- 2–مثل البرد مثل الحرارة، لم يختلف الأشهر كما في الأيام من قبل.

––لم يبقى الثلج، فعاشت الأبقار للناس.

إن هذه التغيرات المناخية غيرت كل المؤشرات، أصبحت الأشهر تتشابه وليست كما كانت من قبل. إن الثلوج أصبحت نادرة، ولم تكن كثيفة كما كانت عليه من قبل، وهذه الكثافة في شهر يناير هي التي تتسبب في قتل الأبقار. لكن العكس هو الذي حدث في السنوات الأخيرة، فالثلج أصبح نادرا ولم تبقى له تلك القوة التي كانت من قبل، لهذا يجعل غير قادر على قتل الأبقار.

ⵜⵏⴰⵔ ⵜⵏⵏⴰⵣⵔ ⵛⵠ ⴰⵔⵜⵜⴰⵡ ⵜ ⵔⵙⵏⵛⵔⵏⴰⵔ ⵏⴰ ⵛⵜⵏ ⵜⵠⴰⵔⵔⵏ .4

-ⵛⴰⵠ ⴰⴰ ⵜⵔⵔⴰⵡⴰⴰ ⵛⵔⵔⴰⵣⵡ ⵠ ⵣⵙⵏⴰⵙⵠ ⵏ ⵜⵠⵛⵛⵔⵔⵜ ⵛⴰ ⵛ ⵜⵛⴰⵣⵣⴰⵏ.

– اخبر يناير أن يسدد دين من اقترض منه.

–لماذا تبكي فبراير؟ماذا استفدت في قتل عجل العجوز؟

تتحدث الشعراء كما جاء في الأسطورة، أن شهر يناير اقترض يوم من فبراير ،للانتقام من العجوز. وبعده لم يرد هذا اليوم ل فبراير أصبح هذا الأخير يوم. وكما تحدث الأسطورة المتعلق بعدد الأيام لكل من يناير وفبراير. مما يعلل ان شهر فبراير له حالة جوية خاصة بتساقطات مطرية تشبه البكاء ثم يتبعها خروج الشمس. حيث يقال بن فبراير يبكي بان يناير لم يرد اليوم الذي اقتضه ل يناير. وهناك مقطع من ئزلي يقول:

ⴰⵣⵔⵛⵙⵏ ⴰⵛⵔⵔⴰⵣⵡ ⵛⴰ ⵏ ⵜⵜⴰⵛⵏ ⵛⴰ.

ⴰⴰⴰⴰⵣ ⵜⵣⵡⵣ ⵜⴰⵠⵙⵣⵜ ⴰ ⴰⴰⵣⵣⵡⵣ ⵙⵏⴰⵠⴰ.Q

يا صديقي فبراير لم اتق بك.

عندما تكون الشمس، تتساقط الأمطار.

ج–الية التناص.

عمد الشعراء، بجعل موضوع أسطورة تمغارت للنقاش بينهم في هذه المواجهة الشعرية. إذ حاول كل طرف بالاستشهاد بكل ما يتعلق بهذه الأسطورة، التي تعد من بين الأساطير الأمازيغية التعليلية والتي تفسر الأحوال الجوية، التي يتسم بها شهر يناير بكثافة الثلوج وكثرة التساقطات المطرية، التي تؤذي في بعض الأحيان إلى قتل المواشي والأبقار كما هو الحال في الأسطورة لما قتل عجل العجوز من طرف شهر يناير حين اقترض يوم من شهر فبراير إذ استشهد الشاعر بهذا وقال:

ⵜⵏⴰⵔ ⵜⵏⵏⴰⵣⵔ ⵛⵠ ⴰⵔⵜⵜⴰⵡ ⵜ ⵔⵙⵏⵛⵔⵏⴰⵔ ⵏⴰ ⵛⵜⵏ ⵜⵠⴰⵔⵔⵏ .

-ⵛⴰⵠ ⴰⴰ ⵜⵔⵔⴰⵡⴰⴰ ⵛⵔⵔⴰⵣⵡ ⵠ ⵣⵙⵏⴰⵙⵠ ⵏ ⵜⵠⵛⵛⵔⵔⵜ ⵛⴰ ⵛ ⵜⵛⴰⵣⵣⴰⵏ.

– اخبر يناير أن يسدد دين من اقترض منه.

–لماذا تبكي فبراير؟ماذا استفدت في قتل عجل العجوز؟

يعد التناص ظاهرة نقدية في الأدب، وقد شمل جميع الأجناس الأدبية . ففي الأدب الامازيغي نجده بشكل قوي ، بحيث أن الشاعر الامازيغي قد وظف مختلف النصوص بجميع أنواعها بما فيها الأسطورة والتي تعتبر أدب حكائي قديم لها ارتباط بالإنسان الأمازغي مند غابرة فمن خلال الأسطورة التي تفسر وتعلل له العديد من الظاهر. فقد وظفها الشعراء في هذه المبارزة الشعرية فيما بينهم.

الهوامش:

1– المعجم العام للغة الامازيغية – امازيغي– فرنسي– عربي– ص : 378[1]

2– علي شرويط المرغادين الرمزية في الشعر الامازيغي – ايزلان ن ايت مرغاد نمودجا. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغة 2010 – مطبعة المعارف الجديدة الرباط ص: 8[2]

3– مقال ل محمد اوسوس –من اجل ميتالغة نقدية امازيغية معطيات أولية – في اشغال الندوة تحت عنوان الابداع الامازيغي واشكالية النقد، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، ص:56 [3]–

4 – مدخل في الادب الامازيغي ، لمحند اكلي حدادو. ترجمة الأستاذ حبيب الله منصوري، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2020الجزائر ص 130[4]

5 – عبد الله اغيلاس وميمون قجي شعراء امازيغ من قبيلة ايت داود وموسى اخدلان بإقليم افران من بين الشعراء المعروفين بتنظيم الشعر وخاصة في الأعراس.[5]

6 – هومقطع شعري او لازمة تككر في مع ازلي [6]

Paulette Galand –Pernet, ‘’la veille et légende des jours d’emprunt au marouc’’ op,cit, p : 59- 7[7]

8 – اوسوس محمد . (2008)، كوكرا في الميثولوجيا الامازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية 2008 مطبعة المعارف الجديدة –الرباط ص: 92 [8]